مناسبة السياق للمقام في خطب الإمام علي عليه السلام

﴿ أسلوب الأمر أنموذجا ﴾

د. جنان محمد مهدي العقيدي
كلية التربية للبنات / جامعة بغداد
قسم اللغة العربية

المقدمة

****

تعد مسألة دراسة الظواهر التركيبية لنص ما وما يحيطه من قرائن وظروف أهم أركان فهم وإدراك المعنى ، وهو الغاية والقصد الذي يبتغي مبدع النص إيصاله إلى ذهن المتلقي أو المخاطب ، فاللغة نظام اجتماعي ينتظم عبر أساليب لغوية تربطها علاقات أسلوبية ومقامية تحدد الغرض من الخطاب .

وهذا يعني أن ثمة عناصر لغوية وغير لغوية لها أثرها الكبير في تحديد المعنى ، إذ إن معنى النص يتضح ويبين حين تُعرف ما يحيط به من ملابسات وظروف تتصل بالمكان أو المتكلم أو المخاطب فتعطيها ملامح دلالية يولدها نوع من السياق يُعرف بـ (مقتضى الحال) أو (المقام) كما يطلق عليه علماء العرب القدماء من لغويين وبلاغيين ومفسرين ، الذين نبهوا إلى مثل هذا النوع من أنواع الدلالة اللغوية دون التنظير له كما فعل المعاصرون الذين أطلقوا عليه (سياق الحال) أو (contest of stuation) .

وما هذا البحث إلا محاولة هدفها إبراز الجوانب المضيئة للفكر اللغوي العربي القديم وسبقه في ريادة ميدانٍ أصيل لدراسة المعنى تمثل بخطب ومواعظ بليغ البلغاء الإمام علي (عليه السلام) وسبقه في تأصيل أسلوبية النص عبر أساليب متنوعة الصياغة ذات تراكيب إيحائية ورمزية لمعانٍ ثوانٍ لها قدرتها التعبيرية الفائقة في التأثير والتوجيه في نفس متلقيها .

وقد اخترت دراسة (المقام أو السياق الحالي) وأثره في توجيه دلالة تركيب أسلوب الأمر في نهج البلاغة ، وكيف أن دلالة الأسلوب تتغير وتتنوع لتخرج من معناها الأصلي إلى معان فرعية يحددها مقتضى الحال أو المقام الذي قيلت فيه لتتلون تلك المعاني من أمر ووجوب إلى ندب أو دعاء أو توبيخ وتقريع أو وعيد .

وتبعًا لذلك فقد انقسم البحث إلى ثلاثة مباحث عرض الأول منها وهو بعنوان : (**لغة الإمام وأسلوبه في خطبه**) اللغة كنشاط اجتماعي منتظم في بنية تركيبة تحمل في طياتها المعاني والدلالات المقصودة في نسق من الألفاظ والأساليب ، فضلا عن أسلوب الإمام (عليه السلام) في خطبه ومواعظه وأبرز سمات أسلوبه .

أما المبحث الثاني وهو بعنوان (**المقام والدلالة**) فقد خصص للحديث عن المقام ونظرية السياق والدلالة بدءًا بالحديث عن السياق وأنواعه التي يتفرع منها السياق الحالي أو سياق الموقف كما يطلق عليه المعاصرون وتأصيل البحث والدراسة فيه في الفكر اللغوي والتراث العربي وعلاقته بمباحث الدلالة ، فضلا عن الحديث عن المباحث الدلالية في الدراسات اللغوية القديمة والحديثة .

في حين كان المبحث الأخير وهو بعنوان : (**أسلوب الأمر صيغه ودلالاته**) دراسة تطبيقية لأسلوب الأمر وصيغه ودلالاته عند النحاة والبلاغيين ومعانيه الثواني التي يخرج إليها واختلاف تلك المعاني بحسب مقام النص وغرضه .

وذيل البحث بخاتمة موجزة لأهم النتائج التي تم التوصل إليها.

المبحث الأول :

لغة وأسلوب الإمام في خطبه

****

استقطبت اللغة اهتمام المفكرين منذ أمد بعيد، بوصفها ظاهرة اجتماعية دارت عليها حياة مجتمعاتهم الفكرية والاجتماعية ، فحظيت بنصيب كبير من الدراسة والبحث كونها أهم وسائل الاتصال والتفاهم بين البشر ، فالتخاطب هو جوهر اللغة ومفتاح المعنى ولا يتم هذا التواصل إلا عبر بنية تركيبية متكاملة من حيث الألفاظ والجمل والدلالات .

ولابد لهذا التواصل من عوامل ستة ينبغي توفرها في أية عملية اتصال ، وهي : ١- الباث، أو المخاطِب (بكسر الطاء)، ٢- المتلقي، أو المخاطَب (بفتح الطاء)، ٣- السياق، ٤- السنن أو الشفرة، ٥- وسيلة الاتصال، ثم ٦- الرسالة نفسها.[١]

فاللغة إذن نظام يعتمد في أساسه على مجموعة من العناصر اللغوية التي ترتبط مع بعضها وفق علاقات معينة لتعبر عن المعنى . وقد دأب علماء اللغة إلى النزوع نحو هدف إثبات معنىً محدد للكلمة أو الجملة ، استنادًا إلى مستويين اثنين هما : مستوى التركيب ومستوى المضمون ولكنهما لا يكفيان لتحديد شامل كامل لدلالة الجملة أو الكلمة، وإنما وجب تضافر عدة أنظمة تراعي في اعتبارها عالم المتكلم وعالم المتلقي وطبيعة الخطاب وعناصره .

وتبعا لذلك فإن الألفاظ تترتب في التراكيب وفقًا لوظيفة التواصل ، أي رصد العلاقات بين الأنماط التركيبية المختلفة والوظيفة الإفصاحية وتستلزم الرسالة التواصلية بين المرسل والمتلقي تنوع الأساليب بحسب المقام والسياق ، لذا يمكن القول بأن الأسلوب منظومة تواصلية بالغة التأثير في المتلقي وهو في ذات الوقت صنوان السياق .

لقد عرّف الأسلوب بأنه ((طريقة تأليف الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير)) . [٢] وعدّ تفرد أسلوب المتكلم أو المخاطِب أمرًا تابعًا لقدرته وقابليته

---

[١] ينظر : النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق / عدنان بن ذريل ٣٥ .

[٢] الأسلوبية والبيان العربي / د.محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون ٤٢ .

على توظيف مفردات وتراكيب تواءم مستوى تفكير وثقافة المخاطَب ومراعاة أحواله ومناسبة النص للظروف المحيطة به من زمان ومكان .

إذ إن الألفاظ تمتلك طاقات تعبيرية لها تأثيراتها البالغة على المتلقي، فهي تنتظم في تراكيب متنوعة تختلف تبعاً لقصد المخاطب وأسلوبه في الخطاب الذي يتميز به عن غيره ، فالأسلوب هو الطريقة والفن [١]، وتتباين الأساليب تبعاً لطبيعة المعنى والغرض وجمال النسق وروعة الأداء وقوة التأثير.[٢]

والتأثير في النفوس ينبع من رشاقة الأسلوب وجمال العبارة وقدرة مبدعها على التأثير والإقناع ، ولا يتم كل هذا إلا بانتقاء أجزل الألفاظ والعبارات وأقدرها على التعبير ولا يخفى ما للغة وأسلوب المخاطب من أثر في نفوس متلقيه، باعتبار أن وظيفة النظام اللغوي تبليغ أغراض المتكلم للسامع [٣]، وتبعاً لذلك تتباين أساليب المخاطب في خطابه، فلكل موقف خطاب خاص به ولكل مقام مقال.

وقد امتاز الأسلوب العربي بسمات كان من أهمها: القوة والتناسق والجمال ، ولو حاولنا استنطاق لغة وأسلوب النص في كتاب نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) لألفينا أن تلك السمات تظهر جلية وتتآلف لخدمة مضامين ومعاني ودلالات النص ، فالمتتبع للنصوص يجد أنها كانت وليدة الحال التي ألقيت فيها مع امتلاكها قوة التأثير في نفس متلقيها ؛ ذلك لأنها تحمل في طياتها أساليب توجيهية ناسبت أحوال متلقيها وتفردت بقوة الإقناع التي استندت إلى الجدل المنطقي المقنع ، كما أنها نبهت على بلاغات فكرية وحضور عقلي واستعمال منطقي وأسلوبي للغة مع تمكن من أداتها وتراكيبها ودلالاتها ، وهذه الأخيرة التي دعت إليها الأسلوبية الحديثة اليوم .

لقد تميز أسلوبه (عليه السلام) بقوة ملاحظة نادرة إذ مزج بين المنهج الوصفي التقريري والمنهج العلمي التفكيري مع إدراك واعٍ للمقارنة بين الأشياء ، ولعل مرد الفضل في ذلك لحافظته الموسوعية وذاكرته الغنية التي تغذي فكره وتمده بالزاد المعرفي القادر على

---

[١] المصباح المنير/ الفيومي ٢ / ١٠٨

[٢] ينظر: الأسلوبية والبيان العربي / د. محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون ٥٥

[٣] ينظر: مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية / د. بان الخفاجي، بيروت – دار الكتب العلمية ، ط ١/ ٢٠٠٨ م ، ١٥

التشخيص والتجسيم بانتقاء وتخير أفضل الألفاظ القادرة والمعبرة على الوصف الدقيق للشيء، إذ تميزت الألفاظ في أسلوب خطبه (عليه السلام) بالقوة والجزالة والفخامة .

لذا فقد راعى (عليه السلام) مقام وأسماع المتلقين في تخيره للألفاظ وكان له قصب السبق في الاهتمام بالحلقة الأولى في عملية التوصيل اللغوي بين المخاطب والمتلقي المتمثلة بالجهاز السمعي وهو ما تنادي به الأسلوبية الحديثة اليوم في دراساتها اللغوية ، إذ تميز الأسلوب بالموازنة بين الألفاظ والانسجام الصوتي بين اللفظة وأختها وهو ما جعل خطبه تمتاز بقصر الفِقر، فضلاً عن كثرة الطباق بين الألفاظ والمعاني والمقابلة والتناظر فيما بينها.

والملاحظ كثرة الصيغ الإنشائية في خطبه (عليه السلام) كالاستفهام والنداء والنهي والأمر والتعجب .. وكانت أكثر الأساليب استعمالاً فيها لما لها من أثر في إيقاظ المتلقي وتنبيهه بما لا تبلغه غيرها من الأساليب الخبرية، إذ تحمل في طياتها التنبيه والتوجيه والإرشاد والموعظة لما تخرج إليه من معانٍ ثوانٍ يبينها السياق وقرائنه الدلالية ، فكان عليه السلام وهو بليغ البلغاء ومنبع الحكمة ومنهل الفصاحة والبيان مدركاً للفروق الدلالية بين التراكيب والأدوات التي كانت وسيلته للتبليغ والتأثير والإقناع.

كما امتاز أسلوب (عليه السلام) بالدقة في المنطق الرياضي والاتساق في الحساب مع سرعة بديهة علمية حاضرة لحل مسائل فقهية تتعلق بالمواريث والإنفاق وغيرها مما عدّ ألغاز تكدّ العقول وتحار فيها الألباب ولا تصل إليها إلا بعد إعادة وتدقيق في الحساب .

من كل ما تقدم يمكن القول بأن أسلوب الإمام (عليه السلام) امتاز بعمق في الدلالة مع الإيجاز وقوة التأثير ورصانة الصياغة وتنوع الأساليب وتباينها بحسب تباين مستويات متلقيها وثقافته ، فالخطب والوصايا اشتملت على منهاج ديني ثقافي توجيهي شامل ، خلاصته رياضة النفس على الهداية والطريق القويم.

المبحث الثاني :
المقام والسياق
****

يعد المقام نوعًا من أنواع السياق غير اللغوي ولابد في البدء من استكناه مفهوم السياق وأنواعه بشقيه اللغوي وغير اللغوي ((فالموضوعية العلمية في الدرس اللغوي الحديث، تملي بل تفرض على الباحثين ضرورة تأطير بحثهم تأطيراً علمياً دقيقاً، خاصة إذا كان البحث يتوخى تأصيل الدراسة، والتنقيب عن جذورها في التراث المعرفي المتنوع، سعياً منه إلى ربط الحقائق العلمية الحديثة بأصولها الأولى)) [١].

فالسياق في اللغة من ((ساق الإبل يسوقها سوقًا وسواقًا وسياقًا .. والسياق نزع الروح)) [٢]، وهو ((المهر، وسياق الكلام : تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه)) [٣]، أما في الاصطلاح فقد عرفه المحدثون بأنه ((بناء كامل من فقرات مترابطة في علاقته بأي جزء من أجزائه التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة)) [٤] ، كما عرّف بأنه((تتابع الكلام وأسلوبه الذي يجري عليه)) .[٥] فالسياق إذن نسق الكلام ومجراه وكل سياق يجري في موقف تواصلي بين المتكلم والمخاطب وديناميكية متحركة وهو ليس مجرد حالة لفظ بل متوالية من أحوال اللفظ متغايرة الأحداث .[٦]

وقد قسم السياق إلى أنواع تندرج ضمن نوعين رئيسين هما : السياق اللغوي الذي يشمل السياق الصوتي والصرفي والنحوي ، والسياق غير اللغوي الذي يشمل السياق الاجتماعي والسياق التاريخي وسياق الحال أو سياق المقام .

---

[١] علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي – دراسة / منقور عبد الجليل : ٦

[٢] لسان العرب / ابن منظور مادة (سوق) ٢٤٢/٢

[٣] المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية مادة (سوق) ٤٦٥

[٤] السياق غير اللغوي في النص القرآني / د.خليل خلف بشير (مستل) من دراسات وبحوث مؤتمر الشيخ البلاغي الثالث ١٣٧ .

[٥] معاني القرآن في ضوء سياق الحال / د. عبد القادر سلاّمي (مستل) دراسات وبحوث مؤتمر الشيخ البلاغي الثالث ١١٣.

[٦] ينظر : النص والسياق /استقاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي / فان دايك ٢٥٨ .

ولم يغفل النحاة والبلاغيون قديما أمر السياق بل فطنوا له وألمحوا إليه ولم يقتصروا على النظر في بنية النص اللغوية وإنما انصب اهتمامهم على مراعاة المخاطب وأحوال الخطاب ، فمفهوم (المقام) ورد في الدراسات اللغوية القديمة ودرسه البلاغيون تحت مصطلح المقام أو مقتضى الحال ، وكانت أول إشارة له بقول بشر بن المعتمر فيما نقله الجاحظ عنه حين قال: ((المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة . وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة ، مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال)) [١] ، ولم يكن هذا الأمر بعيداً عن النحاة ، فسيبويه يعد من الرواد الذين اهتموا بعناصر سياق الموقف المتمثلة في المتكلم والمخاطب والعلاقة بينهما ، فلو تأملنا في باب (ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهي) قول سيبويه: ((لو رأيت ناساً ينظرون الهلال وأنت منهم بعيد فكبروا لقلت: الهلال ورب الكعبة أي أبصروا الهلال)) [٢] لوجدنا أن المقام وسياق الموقف هو الذي كشف الحال التي عليها المخاطب وبين لنا المعنى .[٣]

ففكرة المقام إذن كانت حاضرة في أذهان النحاة العرب القدامى إلا أنهم اكتفوا في كثير من الأحيان بالوصف دون التنظير[٤]، على العكس من اللغويين الغربيين الذين نظّروا للسياق كنظرية عرفت بنظرية السياق التي أضحت نظرية دلالية متكاملة على يد العالم الانكليزي " فيرث" (Firth) الذي استند إلى آراء الانثربولوجي " مالينوفسكي " الذي نبه وأكد على الوظيفة الاجتماعية للغة تابعه فيرث مشيراً إلى أن معاني التراكيب والكلمات تستلزم تحليل

---

[١] البيان والتبيين ١/ ١٣٦.

[٢] الكتاب ١/ ٢٥٧ .

[٣] ينظر: مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه / د.كريم حسين ناصح (مستل) مجلة المورد ع ٣ ، ص٢١ .

[٤] ينظر: الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والحالي / د. كاصد ياسر الزيدي (مستل) مجلة آداب الرافدين ع٢٦ ص١٢٧

السياقات والمواقف التي ترد فيها [1]. وقد عدّت هذه النظرية ((من أفضل المناهج لدراسة المعنى بسبب ما تميزت به من عناية بالعناصر اللغوية والاجتماعية)) .[2]

فاللغة وفق المنهج السياقي تدرس في إطار الظروف الاجتماعية المحيطة بها ؛ لأنها مزيج من عوامل مختلفة مثل العرف والتقليد وعناصر الماضي والإبداع وغيرها مما يشكل لغة المستقبل التي تنسبك في لفظ سياقي معبّر عن أسلوب المخاطب وقدرته على مراعاة المتلقي وأحوال المخاطَب .

إن أهمية السياق تتأتى من أنه يحدد الدلالة المقصودة من اللفظة في جملتها أو تركيبها الذي انسبكت فيه ، ولا تعرف دلالتها بمعرفة السياق اللغوي فقط وإنما تتحدد الدلالة بتضافر سياق المقام أو الحال الذي وردت فيه مع سياقها اللغوي ، إذ إن فكرة المقام تعدّ ((المركز الذي يدور حوله علم الدلالة))[3] في وقتنا الحاضر .

كما أن أهميته في التحليل الدلالي تتأتى من تعيين قيمة الكلمة واكتسابها دلالات ثوانٍ تعكسها التأثيرات السياقية باختلاف مناسبة القول .[4] مما يدعو للقول بأن دلالة الكلمة تتلون بحسب مقامها الذي تتدرج فيه ويمكننا تبعا لذلك اطلاق تسمية " الدلالة المقامية" على سياق الموقف الذي وردت فيه.

ولعل خطب الإمام علي (عليه السلام) لم تبتعد عن فكرة أهمية مراعاة المقام والسياق المقامي ، فالمتأمل للخطب يجدها فناً تميز بمراعاة حال المخاطب وتخيّر اللفظ المناسب للمقام الذي يرد فيه فما كان في مجال الموعظة على سبيل المثال ناسب اللفظ فيه هذا الغرض وما كان في مجال آخر غيره اختيرت له الألفاظ بما يناسبه ويوائم المراد منه .

---

[1] ينظر: علم الدلالة / د. احمد مختار عمر ٦٨- ٦٩ .

[2] دراسة المعنى عند الأصوليين / د. طاهر سليمان حمودة ٢١٣

[3] اللغة العربية معناها ومبناها / د. تمام حسان ٣٣٧ .

[4] ينظر : منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث / د. علي زوين ٩٤- ٩٥ .

المبحث الثالث :

أسلوب الأمر صيغه ودلالاته

****

كان المعنى ولا يزال الغاية والقصد من وراء أساليب الكلام ، وقد شغلت دراسة معاني الجمل وأساليب التركيب النحاة الذين درسوا تلك المعاني دون تبويب منظم لكنها انبث ضمن الأبواب النحوية ، أما البلاغيون فإنهم باعترافهم بفكرة " المقام " متقدمون ألف سنة على زمانهم ((لأن الاعتراف بفكرتي " المقام " و " المقال " باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة))[1] وكان للبلاغيين قصب السبق في جعل معاني الكلام قسماً قائما بنفسه إلى جانب البيان والبديع ، إلا أن دراستهم لها استندت إلى أحكام النحاة وقواعدهم وأصول النحو وقد تميز البلاغيون عن النحاة بأنهم شعبوا المعاني التي يخرج إليها المعنى الأصلي ، واستعمل النحاة القدامى مصطلح (معاني الكلام) للتعبير عن ائتلاف الكلام وما يتفرع عنها من معانٍ فرعية وفقا لسياق الكلام وقرائنه ، وقد وسمها الباحثون المحدثون في علوم البلاغة والنحو بـ :(الأساليب) فقالوا أسلوب النداء أو أسلوب الأمر أو أسلوب النهي .. .[2]

لقد خص النحاة أسلوب الأمر في صيغة برزت عن غيرها من صيغ الأمر ألا وهي فعل الأمر ونظروا إليه من جهة أحوال بنائه وارتباط الضمائر والحروف بتلك الأحوال فالأمر: هو طلب الفعل على وجه التكليف والإلزام وقد اشترط البلاغيون أن يكون طلب الفعل على جهة الاستعلاء [3]، أما النحاة فقد فرّقوا بين استعمال الصيغة في الأمر وفي

---

[1] اللغة العربية معناها ومبناها ٣٣٧

[2] ينظر : نظرية المعنى في الدراسات النحوية / د. كريم حسين ناصح ٣٦٤- ٣٦٥

[3] ينظر : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين / د. قيس إسماعيل الأوسي ٨٧

الدعاء[1] ، فابن السراج يذهب إلى أن ((أصل الدعاء أن يكون على لفظ الأمر ، وإنما استعظم أن يقال أمر ، والأمر لمن دونك ، والدعاء لمن فوقك)) [2].

ويمكن القول بأن هذا التفريق بين المعاني يستند في أساسه على مراعاة المخاطب والمقام ؛ إذ يتحدد وفقا لسياق الكلام ما إذ كان الأمر في هذا التركيب أمرا واجباً أو دعاءاً ومسألة وهذا يعني أن النحاة أدركوا الفروق الدقيقة بين معاني الأمر.

وللأمر صيغ تؤدي معنى الأمر هي:

صيغة (أفْعَلْ) ، صيغة (ليَفْعَلْ) ، صيغة المصدر ، صيغ أسماء الأفعال ، الأمر بصغية الخبر [3]، ويخرج الأمر إلى معانٍ كثيرة غير معنى طلب حصول الفعل ، تعرف معانيها من السياق المقالي وقرائنه والسياق الحالي والمقام وحال المخاطب ، فقد يخرج الأمر إلى معنى الندب أو الوعد والوعيد أو الترغيب والترهيب أو التعجب ..

بالعودة إلى أسلوب الأمر ودلالاته في نهج البلاغة نجد أن تنوع الأسلوب يتناسب مع حال المخاطَب وسياق المقام الذي ورد فيه ، ويدفع هذا الأسلوب بالمخاطَب إلى التدبر والعظة ، فالمتأمل لنصوص نهج البلاغة يجد أن أسلوب الأمر يحمل في طياته كثيراً من المعاني الثواني التي يخرج لها هذا الأسلوب ، فمما جاء على معنى الوجوب والإلزام ما ورد في خطبة له (عليه السلام) في جور الزمان وقسمة الناس على أقسام ، فقال:((فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة القَرَظِ وقُراضة الجلم ، واتَّعظوا بمن كان قبلكم ، قبل أن يتَّعِظ بكم مَنْ بعدكم ، وارفضوها ذميمة فإنها قد رفضت مَنْ كان أشغف بها منكم))[4].

ويخرج أسلوب الأمر إلى معنى التذكير والترهيب وذلك في خطبة له بالحث على التزهيد في الدنيا وبيان نعم الله على الخلق ، وذلك حين قال : ((ألا وإن الدنيا قد تصرمت،

---

[1] ينظر : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ٨٩

[2] الأصول في النحو ٢/ ١٧٠

[3] لمزيد من التفصيل فيما يخص صيغ الأمر وتفصيلاتها ، ينظر : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ١١٣ وما بعدها

[4] نهج البلاغة / شرح السيد محمد الحسيني الشيرازي ٧١-٧٢

وأذنت بوداع ، وتنكَّر معروفها وأدبرت حَذَّاء،... فأزمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدار المقدور على أهلها الزَّوال ، ولا يغلبنكم فيها الأمل ، ولا يطولنَّ عليكم الأمد)) [1].

وقد يتخذ أسلوب الأمر معنى الندب والعظة إلى جانب الترهيب ، ولعل مما ورد في خطبة له (عليه السلام) في الاستعداد للموت خير دليل على ذلك ،إذ قال : ((فاتَّقوا الله عباد الله ، وبادروا آجالكم بأعمالكم ، وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم ، وترحَّلوا فقد جُدَّ بكم واستعدوا للموت فقد أظلَّلكم وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا ...))[2].

ووظف (عليه السلام) أسلوب الأمر على جهة المسألة والدعاء ، وذلك في خطبة له علّم الناس فيها الصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقال : ((اللهم داحي المدحوات وداعم الممسوكات وجابل القلوب على فطرتها شقيِّها وسعيدها . اجعل شرائف صلواتك ، ونوامي بركاتك ، على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق، والفاتح لما انغلق، والمعلن الحقَّ بالحقَّ ...)) [3].

وقد يخرج أسلوب الأمر إلى معنى التوبيخ والذم كما جاء في خطبة له (عليه السلام) في النهي عن عيب الناس ،إذ قال : ((يا عبد الله ، لا تعجل في عيب أحد بذنبه ، فلعله مغفور له ، ولا تأمن على نفسك صغير معصيةٍ ، فلعلك معذبٌ عليه. فليكففْ من علم منكم عيب غيره لِما يعلم من عيب نفسه ، وليكن الشكر شاغلاً له على معافاته مما ابتلي به غيره)).[4]

من كل ما تقدم يمكن القول : إن تنوع الأساليب كان وفقاً للمقام الذي قيلت قيه ،وأن الخطاب فيها تارة يكون لإرشاد النفوس والعقول وتارة لتثبيتها على الطريق القويم بالتدبر والتفكر والإنابة وانتظم في سلسلة لغوية تركيبية تمتلك قوة الإيحاء وقدرة التأثير .

---

[1] نهج البلاغة ٨٩ – ٩٠

[2] المصدر نفسه ٩٧– ٩٨

[3] المصدر نفسه ١٠٧

[4] المصدر نفسه ٢٦١

الخاتمة

****

تتطلب دراسة المعنى دراسة ما يحيط و يستفاد من دلالات ومعاني التركيب والأساليب المؤلفة للنصوص، وعليه فدراسة المعنى تتطلب تحليلاً للسياقات اللغوية وغير اللغوية وهذه الأخيرة تستلزم تضافر عدة أنظمة تأخذ في اعتبارها عالم المتكلم وعالم المتلقي وطبيعة الخطاب وعناصره . وقد حاول البحث بيان أثر السياق الحالي أو المقام في توجيه الدلالة في أسلوب من أساليب العربية وهو أسلوب الأمر عبر استنطاق دلالاته في نصوص نهج البلاغة ، وقد تبينت جملة نتائج بعد البحث يمكن إجمالها بالآتي:

١- إن قراءة نقدية تحليلية للتراث اللغوي العربي تفضي للقول بأن العرب كانوا سباقين في الكشف عن ملامح نظرية المعنى والتأسيس لمناهج الدراسات الحديثة للتركيب ، إذ راعوا الصلة بين المتكلم والسامع واللغة والاستعمال والمعاني والدلالات ، وهذا هو التأصيل للنظرية الكاشف عن الوجه الآخر لثراء للفكر اللغوي العربي .

٢- إن النص هو الوسيلة المثلى للتواصل وقد أدركها العرب بحسهم وذائقتهم ، فميزوا بين القدرة اللغوية والقدرة الخطابية عبر معرفة الترابط بين التراكيب اللغوية واستعمالاتها بحسب سياقاتها التي تكشف عن مقصود النص ومعناه .

٣- كان تنوع الأساليب في نصوص نهج البلاغة منبهاً على بلاغات فكرية وحضور عقلي منطقي لاستعمال اللغة مع تمكن من أداتها وتراكيبها ودلالاتها وأصالة في التعبير حسب المواقف والأحداث فناسب اللفظ فيها سياق حال المخاطب .

٤- دل استنطاق النص في نهج البلاغة على ما أكدته النظريات الحديثة من مراعاة المتلقي وأحواله مما يدعو إلى القول بأن العرب كانوا أسبق في التأصيل لهذه النظرية قبل غيرهم من الغربيين والمحدثين .

٥- لم يغفل علماء اللغة العرب دراسة المعاني والأساليب والأغراض والمقاصد وأن كانت دراسة الجملة والتركيب لديهم دراسة شكلية إلا أن المعاني كانت حاضرة في تآليفهم وأن لم تبوب ضمن إطار محدد الملامح .

المصادر والمراجع

****

- **أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين** / د. قيس إسماعيل الأوسي ، بغداد- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – بيت الحكمة ، ١٩٨٦ .
- **الأسلوبية والبيان العربي**/ د. محمد عبد المنعم خفاجى ود. محمد السعدي فرهود ود.عبد العزيز شرف ، مصر-الدار المصرية اللبنانية ، ط ١٤١٢/١هـ – ١٩٩٢م.
- **الأصول في النحو**/ أبو بكر محمد بن السراي (ت٣١٦ هـ) تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي ، بيروت – مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
- **البيان والتبيين** / أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٢٥هـ) تحقيق: د.عبد السلام محمد هارون ، مصر – مكتبة الخانجي ، ط٣ /١٣٨٨– ١٩٦٨م.
- **دراسات وبحوث مؤتمر الشيخ البلاغي الثالث** / قسم الدراسات والبحوث في دائرة الشؤون القرآنية / مؤسسة شهيد المحراب ، ط ١ – ٢٠٠٨ م .
- **دراسة المعنى عند الأصوليين** / د. طاهر سليمان حمودة ، مصر – الدار الجامعية للطباعة والنشر ، د. ت.
- **علم الدلالة**/ د. أحمد مختار عمر، الكويت – مكتبة دار العروبة، ط١ /١٩٨٢.
- **علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي** / منقور عبد الجليل ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ٢٠٠١.
- **الكتاب** / أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ) تحقيق : عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، ط٣ / ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
- **لسان العرب** / أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ابن منظور)، بيروت- دار صادر ، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٦م.
- **اللغة العربية معناها ومبناها**/ د. تمام حسان ، مصر – عالم الكتب، ط ٣/ ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م.
- **مراعاة المخاطب في النحو العربي** / د. بان الخفاجي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ / ٢٠٠٨ م .

- **المصباح المنير**/ احمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) ، بيروت : مكتبة لبنان / ١٩٨٧ .
- **المعجم الوسيط** / مجمع اللغة العربية – مصر ، مكتبة الشروق الدولية ، ط ٤/ ٢٠٠٤م.
- **منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث (دراسات)**/ د.علي زوين ، بغداد – دار الشؤون الثقافية ، ط ١ / ١٩٨٦.
- **النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق (دراسة)** / عدنان بن ذريل ، منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق ٢٠٠٠ .
- **النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)**/ فان دايك، ترجمة : عبد القادر قنيني ، الدار البيضاء – افريقيا الشرق ، ٢٠٠٠.
- **نظرية المعنى في الدراسات النحوية** /د. كريم حسين ناصح الخالدي ،عمان – دار صفاء للنشر والتوزيع ، ط ١ / ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٠ م.
- **نهج البلاغة** / شرح : السيد محمد الحسيني الشيرازي ، بيروت – دار العلوم، ط ٣ / ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.

المجلات والدوريات

****

* الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والحالي / د. كاصد ياسر الزيدي ، (بحث) مجلة آداب الرافدين ، الموصل – كلية الآداب ، العدد ٢٦ سنة ١٩٩٤ .

* مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه / د.كريم حسين ناصح الخالدي ،(بحث) مجلة المورد ، بغداد – دار الشؤون الثقافية ، العدد ٣ سنة ٢٠٠٢.